قصة
سيدنا أيوب وسيدنا يونس

قصة سيِّدنا أيّوب وسيدنا يونس عليهما السلام

١ـ قصة أيوب نمط آخر من القصص

وقصة أيوب في القرآن نمط آخر من القصص ، ومظهر من مظاهر نعم الله على عباده المؤمنين ، الصابرين الشاكرين ، والأنبياء المحبوبين ، فقد كان له من الدوّابّ والأنعام والحرث شيء كثير وأولاد مرضية ، فابتلى في جسده ، فلم يبق منه سليم سوى قلبه ولسانه ، يذكر بهما الله ﷻ ، وأفرد في ناحية من البلد ، ولم يبق أحد من الناس يحنو عليه ، سوى زوجته كانت تقوم بأمره ، واحتاجت أيضًا ، فصارت تخدم الناس من أجله [١] .

٢ـ صبر أيوب

وكان رغم كل ذلك صابرًا شاكرًا يلهج لسانه بالذكر والشكر ، لا يشكو ولا يتعتب ، ولا يتذمر ، ولا يغضب ، ودام على ذلك سنين طوالًا .

٣ـ محنة ومنحة

ولما تمَّ ما أراده الله له من ابتلاء ، وما أراد به من تكميل ، ورفع درجات ، والرضا تجلى فيه عجزه وبؤسه ، وأن لا ملجأ من الله إلا إليه ، وأنّه قادر على كل شيء ، وعافاه الله في بدنه وأهله ، ورد عليه ماله ، وبارك له في كل ذلك ، فكان أضعافًا مضاعفة ، يقول الله تبارك وتعالى : ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٤] .

---

(١) العبارة لابن كثير في تفسيره .

٤ـ قصة يونس وحكمتها

وتأتي قصة يونس مقرونة بقصة أيوب مؤيدة لها في إثبات قدرة الله تعالى ولطفه ، بعباده وإغاثته لهم حين ينقطع الرجاء ويغشى اليأس القاتل والظلام الحالك ، وتنسدّ جميع المنافذ ، فلا نور ولا هواء ، ولا أمل ولا رجاء ، يدور رحى الموت قويةً سريعةً تطحن حبّة الحياة ناعمةً دقيقةً .

هنالك تبرز يد القدرة الإلهية ، القوية القاهرة ، الرحيمة الحكيمة ، فتخرج هذا الإنسان الضعيف من أشداق الأسد الضاري ، والموت الفاتك ، فيخرج سليمًا غير مخدوش ، كاملًا غير منقوص ، كأنّما كان على فراشه في بيته ، محفوظًا بين أهله .

٥ـ يونس بين قومه

وهذه قصة يونس : بعثه الله إلى أهل قرية « نينوي » فدعاهم إلى الله تعالى ، فأبوا عليه ، وتمادوا في كفرهم ، فخرج من بين أظهرهم مغاضبًا لهم ، ووعدهم بالعذاب بعد ثلاث ، فلما تحققوا منه ذلك ، وعلموا أن النبي لا يكذب خرجوا إلى الصحراء بأطفالهم وأنعامهم ومواشيهم ، وفرّقوا بين الأمهات وأولادها ، ثم تضرّعوا إلى الله ﷻ ، وجأروا إليه ، ورغت الإبل وفصلانها ، وخارت البقر وأولادها ، وثغت الغنم وسخالها ، فرفع عنهم العذاب ، قال الله تعالى :

﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [يونس:٩٨] .

٦ـ يونس في بطن الحوت

وأما يونس عليه السلام فإنّه ذهب فركب مع قوم في سفينة ، فجنحت بهم ، وخافوا أن يغرقوا ، فاقترعوا على رجل يلقونه من بينهم يتخفّفون منه ، فوقعت القرعة على يونس ، فأبوا أن يلقوه ، ثم أعادوها ، فوقعت عليه أيضًا فأبوا ، ثم أعادوها فوقعت عليه أيضًا ، قال الله تعالى : ﴿فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ﴾ .

أي فوقعت عليه القرعة ، فقام يونس عليه السلام وتجرّد من ثيابه ، ثم ألقى نفسه في البحر ، وقد أرسل الله سبحانه حوتًا يشق البحار حتى جاء ، فالْتَقَم يونس حين ألقى نفسه من السفينة ، فأوحى الله إلى ذلك الحوت أن لا تأكل له لحمًا ، ولا تهشم له عظمًا [١] .

٧ـ واستجاب الله دعاءه

فكان في ظلمة بطن الحوت ، في ظلمة البحر ، وفي ظلمة الليل ، ظلمات بعضها فوق بعض ، فما أشد الظلام ! وما أبعد السلام ! ومكث ما شاء الله أن يمكث ثم ألهمه الله الكلمات التي تبدّد الظلمات وتكشف الكربات وتستنزل الرحمة من فوق سبع سماوات ، واسمع القرآن يحكي هذه القصة الغريبة الفريدة التي فيها سلوى لكل بائس ملهوف ، ويائس مضطرب قد ضاقت عليه الأرض بما رحبت ، وضاقت عليه نفسه ، ورأى عيانًا أن لا ملجأ من الله إلا إليه .

---

(١) العبارة لابن كثير في تفسيره .

﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [يونس:٨٧] .

*****